مجلة أنساق للفنون والآداب
والعلوم الإنسانية

المجلد (١) العدد (١)

٨٩-٧٨

مجلة
أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

فلسفة الحرية وتمثلاتها في النص المسرحي المعاصر:ماستابا.. الرقصة الاخيرة (انموذجاً)

أ.م. د. حسن عبود النخيلة

صلاح حمادي جازع

جامعة البصرة، كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون المسرحية، العراق

إيميل: salahalabadi4@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نُشِرَ إلكترونياً في: ٢٠٢٠/٨/١٩

الملخص

شكلت الحرية بوصفها قيمة إنسانية عليا ، حضورا فاعلاً في الفكر الفلسفي الانساني ، وقد مثلت عبر مراحلها المختلفة تصوراً لوجود الإنسان المتأمل لذاته وللآخر وللوجود من حوله ، وقد افاض المسرح بوصفه مرتكزاً لصراع الأفكار المنسوجة بواقع الانسان وموقعه من التاريخ والمجتمع بتمثلاته لتلك الفلسفات التي تمثل صروح التأسيس الفكري التي يتواشج معها فكر الكاتب المسرحي في طرحه لمساراته الفكرية المتفاعلة معها بوصف الفن المسرحي مقدرة فاعلة على طرح الفكر عبر تمثلات حيوية وانسانية قادرة على الدفاع عنه وتأكيد خصوصيته واهدافه التي تغني التجربة الانسانية، ولأن الحرية تشكل رهان التقدم للمجتمعات الواعية والفاعلة على مر التاريخ ، وبفعل ما كشفت عنه الظروف القاهرة والحكومات الديكتاتورية من مظاهر الاستغلال لحريات البلدان وبخاصة في مراحل تنامي السياسات القمعية التي شهدها الوطن العربي في الآونة الأخيرة .ولما يشكله هذا الموضوع من اهمية في واقعنا الحاضر وفي ضوء ما تقدم، جاء اختيار الباحث لعنوان بحثه (فلسفة الحرية وتمثلاتها في النص المسرحي المعاصر:ماستابا.. الرقصة الاخيرة (انموذجاً)

Abstract

Freedom as a supreme human value has formed its active presence in human philosophical thought, and has represented through its various stages a vision of the presence of a person contemplating himself and the other and the presence around him, and the theater has been elaborated as a basis for the struggle of ideas woven with human reality and its location in history and society with its representations of those philosophies that The foundations of the intellectual foundation that the theatrical thought intertwines with its presentation of its interacting intellectual paths with it, describing theatrical art are an effective ability to present ideas through vital and human representations capable of defending it and asserting its specificity and goals that enrich the human experience and because freedom constitutes a bet for progress for conscious and active societies throughout history And due to the

manifestations of the force majeure and the dictatorial governments revealed by the manifestations of the exploitation of the freedoms of countries, especially in the stages of the growth of repressive policies that the Arab world has witnessed in recent times. And her representations in the contemporary theatrical text: Mastapa .. The last dance (model)

الفصل الأول الاطار المنهجي

١- **مشكلة البحث** مشكلة الحرية وفلسفتها من اهم المشاكل واكثرها تعقيدا وتشعبا وذلك لان الحرية الانسانية على مر العصور كانت تعاني من ازمات على مستوى التنظير والتطبيق ، فقد اخذ المصطلح عدة اوجه مختلفة ومتناقضة اثارة الجدل منذ زمن بعيد ، فمنذ بداية التفكر الفلسفي وتحديداً منذ الفلسفة السفسطائية وما تلتها من نظريات فلسفية مختلفة شكلت الحرية نقطة خلاف مستمر، اذ تارة يأخذ مفهوم الحرية شكلا يقترب من تحقيق القانون وتارة اخرى ينحو الى المخالفة له، ومرة يرتبط المفهوم بالأخلاق والمعرفة، ويذهب في حين اخر الى تجاوز ذلك الى التعلق بالإرادة والاختيار والعقل والعلم والعقاب والثواب والكثير من المعان الفلسفية المتعددة للحرية. ونتيجة لتعدد هذه الآراء اخذ مفهوم الحرية بعدا اشكالياً بخاصة في العصر الحديث بوصفه عصر المتغيرات السريعة وبخاصة بعد حلول مفهوم الذات محل التركيز في ضوء المنظور الحداثي وتغليب مفهوم الانسانوية ليصبح الانسان معيار الاهمية التي تتعارض مع الفهم الميتافيزيقي في الغاء مركزيته وانطلاقاً من ذلك وجد الباحث ضرورة التصدي لهذا الموضوع فجاء عنوان البحث على النحو الاتي :(فلسفة الحرية وتمثلاتها في النص العربي المعاصر نماذج مختارة) الذي دعم بالتساؤل ادناه :

ما هي التمثلات الفلسفية التي كرسها نص مسرحية ماستابا.. الرقصة الاخيرة على الحرية ؟

اما هدف البحث: الكشف عن تمثلات فلسفية الحرية في نصوص المسرح العربي المعاصر

٢- **تحديد المصطلحـات**

اولاً–الفلسفة: ان "لفظ فلسفة مشتق من اليونانية واصله (فيلا – صوفيا) ، ومعناه محبة الحكمة

ويطلق على العلم بحقائق الاشياء ، والعمل بما هو اصلح"[١] ،والفلسفة هي ايضا " شكل من اشكال الوعي الاجتماعي يمثل نسقا من المفاهيم العامة عن العالم ومكانة الانسان فيه ، والاساس النظري لرؤية العالم"[٢]

ثانياً– الحرية لغةً: عرف ابي الحسين احمد بن فارس الحرية في معجم مقاييس اللغة على انها من الفعل (حر) الذي يعني "ما خالف العبودية وبرئ من العيب والنقص . ويقال هو حر بين الحرورية والحرية ، ويقال طين حر : لا رمل فيه"[٣]

الحرية اصطلاحا : ورد تعريف الحرية بالمعجم الفلسفي المختصر على انها " نشاط واع وهادف ، يتفق مع الضرورة ، ويستند الى معرفة القوانين الموضوعية للطبيعة والمجتمع ، ويستخدم هذه المعرفة . وبذلك مدى الحرية لا يتوقف فقط على درجة الاستيعاب النظري لقوانين العالم ، بل على درجة استيعابها العملي ايضا ، ولا يتحدد بتطور المعرفة وحدها ، بل وبتطور الممارسة "[٤]

فلسفة الحرية (اجرائياً): هي معيار ايجاد الذات الحرة الفاعلة فكرياً ونفسياً وعملياً في مجتمعها الانساني من خلال بيئة النص المسرحي كما تمثّلها الكاتب في طرحه لشخصيته المسرحية

ثالثاً– التمثلات " مثل :مثل كلمة تسوية يقال هذا مثله كما يقال :شبهه وشبهه ومثل له تمثلا :اذا صور له مثاله بالكتابة او غيرها "[٥]، وجاء معنى مثل في الفكر الفلسفي على انها "مثول الصورة الذهنية

---

(١) د. جميل صليبة ، المعجم الفلسفي ، ج٢ ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢) ، ص١٦٠

(٢) مجموعة ، المعجم الفلسفي المختصر: رؤية ماركسية ، (موسكو : دار التقدم ، ١٩٨٦) ، ص ٣٣٨ .

(٣) ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، (بيروت : دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨) ، ص

(٤) مجموعة ، المعجم الفلسفي المختصر: رؤية ماركسية ، (موسكو : دار التقدم ، ١٩٨٦) ، ص ١٩١ .

(٥) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ،معجم مختار الصحاح، ط٢(بيروت : دار صادر ، ٢٠١٤)، ص٣٧٦

بأشكالها المختلفة في عالم الوعي او حلول بعضها محل بعضها الاخر"[١].

التمثلات اجرائياً : تصور شيء مماثل لشيء اخر يكون مثالاً له ومعبر عنه فكريا وتطبيقيا في طروحات النص المسرحي

الفصل الثاني: الاطار النظري

المبحث الاول: الحرية في الفكر الفلسفي

مر التفكير الانساني عبر العصور بعدة مراحل مهمة تدرجت من المراحل البدائية القديمة المتمثلة بالتفكير الخرافي ، وما تلاها من انشطة فكرية انسانية كالتفكير الديني والتفكير العلمي والتفكر الفلسفي الذي يعد الحل الامثل لدراسة فلسفة الحرية .

كما ان الحرية بكل معطياتها تعد مشكلة فلسفية ازلية لا يمكن التطرق لها الا من خلال بوابة الفكر الفلسفي لان " التفكير الفلسفي بكل الياته وتظهراته التحديد والتوضيح والتشخيص والنقد والتنظير هو الذي يصل بنا الى تصورات عامة تقربنا من فهم واقعية الحرية. فلا يتعلق الامر بترسيخ قواعد الحرية في العالم المحسوس بمجرد تصويرها وتحديدها ، بل يتعلق الامر بفهم خباياها واسسها ومتطلباتها ومستتبعاتها ، كما لا يتعلق الامر بمبررات دينية او فلسفية ، بل بشروط امكانها ذهنيا وواقعيا "[٢].

وفي ما يأتي استعراض موجز لمراحل التفكير الفلسفي لفلسفة الحرية عبر العصور.

١- فلسفة الحرية في الفكر الفلسفي القديم

كرست للحرية مساحة مهمة في التفكير الفلسفي اليوناني وهذا ما دل عليه تنوع الطروحات الفلسفية لدى الفلاسفة على وفق منظور كل واحد منهم لهذا الامر ، ولعل اول المحاولات التي لفتت الانتباه ما قدمته **الفلسفة السفسطائية** من محددات في اشارتهم الى حرية وما عداها عبر التركيز على ثنائية الطبيعة والقانون التي كانت العنوان الابرز للأثبات ونفي لحرية. ففي بعض الحالات يصف الانسان حرا اذا يسلك وفقا للطبيعة ، والانسان الغير حر

هو كل من ينقاد لسلطة للقانون والعكس صحيح حسب راي فلاسفة الفكر السفسطائي [٣] ، الذين انقسموا الى جبهتين متعارضتين بين مؤيد ومعارض.

اما **سقراط** الذي ابتعد عن مفهومي ثنائية الطبيعة والقانون في فلسفته للحرية لان افكاره انزوت في تحليلها لهذ المشكلة من منطلق الخير والاخلاق ، فقد رأى ان الحرية " فعل الافضل " والحرية تتم عن طريق " التصميم الاخلاقي " ولا تتم الا من خلال شروط معينة ، ضبط النفس من ناحية والفحص المنهجي الذي يعني به الخير من ناحية اخرى [٤]. ان الفهم السقراطي الاخلاقي للحرية ارتهن بفكر اخر اعتبره المعيار والقيمة الاساسية لفهم الحرية وهو (فعل الافضل) لان الاخلاق تقود الشخص لفعل كل ما هو افضل وعليه يقول " بوسع الانسان ان يكون حرا " اي ان يفعل الافضل " اذ يكن يمتلك معرفة واضحة بما هو افضل (....) فهو اسمى الغايات التي اذا بلغها الانسان تتحقق حريته الحقيقية "[٥] ، وهذا ما لا يتحقق في حال اختيار الشر او الرذيلة.

أما **ارسطو** (٣٨٤-٣٢٢ ق. م) فقد اتفق واختلف مع فلسفة من سبقوه من حيث المبدأ والمضمون ، اتفق معهم في بعض التقسيمات التي توعز بان " الحرية ميزة اساسية للحكام الفلاسفة باعتبارهم يتمتعون بملكة العقل وفضيلة الحكم ، فهي هبة طبيعية تميزهم عن غيرهم من البشر الحراس او العبيد"[٦] ، والعمال والمزارعين وغيرهم ، واختلف معهم في مسألة الاختيار والمداولة لأنه ارجع مفهوم الحرية الى الاختيار ، والاختيار هنا لا يرتبط بالمعرفة وحدها بل بفعل الارادة ايضا وبحضور العقل ، بمعنى الاختيار هو اجتماع العقل مع الارادة الذي تنتج عنه الحرية [٧]، وان ارادة الانسان قد تقدم على الرذيلة مثلما تقدم على الفضيلة ، اي ان ملكة الاختيار خاضعة

---

(١) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (القاهرة : دار قباء ، ١٩٩٨) ، ص٢٢٣.

(٢) فتحي التريكي ، الحرية والعقل ، (الجزائر : ابن نديم للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦) ، ص ٧٣ .

(٣) ينظر : عبد الرحمن بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج١ ، (القاهرة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ب ت) ، ص ٤٥٨.

(٤) ينظر : عبد الرحمن بدوي ، مصدر سابق ، ص ٤٥٨ .

(٥) مجموعة ، قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ .

(٦) فريال حسن خليفة ، مصدر سابق ، ص ١١ .

(٧) ينظر : عبد الرحمن بدوي ، مصدر سابق ، ص ٤٥٩

للخير والشر معاً لان هذا الاختيار محدد بميزة العقل الذي يسمو بالإنسان الى اعلى مرتبة في السلوك الطبيعي .

٢- فلسفة الحرية في الفكر الفلسفي المعاصر

انتقلت الفلسفة في العصر الحديث الى التفكير المادي العلمي بعد ان كان التفكير المثالي حاكم قبضته على العصور القديمة والتفكير الديني في العصور الوسطى ، وقد برزت اسماء من الفلاسفة خاضوا اشواطاً في البحث والدراسة لمشكلة الحرية فلسفيا وقدموا دراسات واسعة تركت بصمة واضحة اسست منهجاً خاصاً في فلسفية الحرية ومشكلاتها التي اتخذت " منعرجاً جديداً، اذ اصبح الاعتقاد الراسخ في حرية الانسان محوراً من محاور الفلسفة. واخذت دراسة الحرية اهمية اكبر عندما بدأت دراسة السلوك الانساني تأخذ منهجا علميا بتحديدها في الشروط البيولوجية والاجتماعية والنفسية "[١]، كان ذلك واضح السمة على يد الفيلسوف الفرنسي (**ديكارت**) (١٥٩٦-١٦٥٠) اذ يعد " بلا جدال – ابو الفلسفة الحديثة الذي اقام اركانها وشاد بنيانها ، ووضع خطتها ، وابان منهجها ، وفصل القول في فروعها واصولها ، وكان في مقدمة من حررها من ربقة القيود اللفظية والمناقشات المدرسية ، وخلصها من سلطان الكنيسة واستعباد ارسطو طاليس "[٢] كما انه بنى فلسفته على مبدا الشك واعتقد ان الشك طريق الانسان للحرية والتحرر من عبودية المعتقد " ففي اللحظة التي كنا اثنائها نشك في شيء (...) في كل الحالات كنا ندرك ان في انفسنا حرية كبيرة نستطيع بواسطتها الامتناع عن الاعتقاد في ما نكن عرفناه الى تلك اللحظة معرفة عميقة شاملة . هكذا اذن يكون الشك تعبيرا عن الحرية "[٣] .

يذهب الشك عند ديكارت الى تفعيل ملكة (التفكير) والانسان الحر يقاس بفكره اي بإدراكه الفاعل بشكل متواصل وهو بذلك يحقق شرط الحياة وحركتها التي تتحقق لديه عبر نموذج سامي للحرية، اذن يكون الشك هو القاعدة الاساسية التي تستند عليها فلسفة الحرية عند ديكارت بمساعدة كل من حرية الاستواء وحرية الارادة.

اما الفيلسوف (**هيجل**)(١٧٧٠-١٨٣١) ، فقد اتخذ طابعاً ديالكتيكياً ما بين الذات والروح المطلق ولذلك نظر الى الحرية بوصفها "وعي الذات بجوهره الروحي وماهيته وغايته المطلقة "[٤] ، وهذا الوعي محكم بالقانون لان " الحرية عند هيكل لا يمكن ان توجد بغير قانون ، او بمعنى اخر : بغير حدود وبغير تنظيم ، لذلك فهو يعرف الحرية بانها تتلخص في فهم الضرورة ، وعلى ذلك فلا تتحقق الحرية على المستوى الغريزي ولا توجد ما لم يتنازل الانسان عن أنانية وفرديته "[٥]، بمعنى يجب على الحرية ان تعي الضرورة والا فأنها تصبح "حرية مجردة لا اثر للضرورة فيها ، ولكن هذه الحرية الكاذبة انما هي التعسف بعينه ، ومن ثم فأنها – على وجه التحديد – مناقضة لذاتها تماما ، لأنها بمثابة تسلسل لا شعوري ، او مجرد صورة وهمية من صور الحرية او هي بالأحرى مجرد حرية صورية محضة "[٦] .وفي فلسفته للحرية قدم هيجل معادلة اطرافها الفكرة والحق واكد على ان هذين المفهومين متداخلين يثبت احدهما الاخر، لان " الحرية بوصفها فكرة والفكرة تشير الى مفهوم الحق وتحققه العيني ، والحق هو الحرية في فكرتها الشاملة وهو ايضا الحرية في وجودها المتعين، وبدون شمول الفكرة وتحقيقها العيني يستحيل علينا فهم فكرة الحق او فهم فكرة الحرية ، فالحرية لا تكمن في التعيين ولا في اللاتعيين ولكن في هذين الاثنين معاً "[٧]،ولتحقيق الحرية في المفهوم الهيغلي او الفلسفة الهيغلية لابد من ان تقوم الذات على نفسها لا على غيرها لان الحرية تقاس على نسبة الذات الى ذاتها ولا الى اي شيء اخر[٨].

اما على صعيد الحرية في الفلسفة الماركسية ، فأنها قد انتقلت من الفكر الفردي النفسي الى الشعور الجماعي الثوري وتلونت بصبغه اجتماعية تاريخية لانهم اكدوا " بان الحرية ليست تجربة باطنية ، او شعور نفسياً ، او امر ذاتياً يخص (الانا) على حده ، بل هي تجربة اجتماعية او حركة تاريخية ،او مشكلة عينية تهم الانسان في علاقته بالعالم والاخرين "[١]، ومن شروط هذه العلاقة الاقتران بالوعي ومعرفة الضرورة علاوة على معرفة قوانين الطبيعة التي تحيط بالإنسان ومجتمعة، ومن اجل استغلالها لصالحه ولضمان حريته لان الفلسفة الماركسية

(١) فتحي التريكي ، مصدر سابق ، ص ٧٥ .
(٢) يوسف كرم وابراهيم مدكور ، دروس في الفلسفة ، (بيروت : عالم الادب للبرمجيات والنشر والتوزيع ، ٢٠١٦) ، ص ٢٨٩ .
(٣) فتحي التريكي ، مصدر سابق ، ص ٧١ .
(٤) فريال حسن خليفة ، مصدر سابق ، ص ١٠٠.
(٥) محمد شبل الكومي ، الوجود والحرية بين الفلسفة والادب ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩) ، ص ١٨٦ .
(٦) زكريا ابراهيم ، مصدر سابق ، ص ٧١-٧٢ .
(٧) فريال حسن خليفة ، مصدر ستبق ، ص ١١١ .
(٨) عبد الرحمن بدوي ، مصدر سابق ، ص ٤٦١ .

تنظر الى" وعي الضرورة على انه شرط هام لبلوغ الحرية . ولكنه ليس الشرط الوحيد . فالحرية هي نشاط واع وهادف ، يتفق مع الضرورة ويستند الى معرفة القوانين الموضوعية للطبيعة والمجتمع ، وبذلك فان مدى الحرية لا يتوقف فقط على درجة الاستيعاب النظري لقوانين العالم بل على درجة استيعابها العملي ايضاً ، ولا يتحدد بتطور المعرفة فقط بل بتطور الممارسة "[٢] والخبرات ايضاً.

اذ اتسمت فلسفة الحرية عند الماركسيين بالطابع الثوري لان تحرير الانسان من الاستغلال والعبودية هو اسمى اهدافهم ، لان الحرية لديهم ليست هبه فطرية ولا ملكة موروثة ، بل هي على العكس ثمرة من ثمار التطور التاريخي وثورة شاملة للإنسانية ضد الطبيعة الخارجية والعبودية الاجتماعية. وبهذا المعنى اصبحت الحرية ليست بمشكلة باطنية ذاتية بل مسألة اجتماعية واقعية تخص حياة الانسان وعلاقته مع المجتمع المحيط [٣] .

ومن فلاسفة الفكر المعاصر الذين كرسوا اهتماماتهم لدراسة فلسفة الحرية على المستوى الفردي، الفيلسوف (**مشيل فوكو**)(١٩٢٦-١٩٨٤) ،الذي انطلقت افكاره للحرية من مبدأ الاعتدال ، اي التوازن ما بين الرغبات والميول والمتع ، وما تتحقق الحرية الا من خلال تحكيم تمرين السيطرة على النفس اولاً وعلى تلك الممارسات ثانياً ، بمساعدة جانب الفضيلة في فعل الخير لتحقيق هذا الاعتدال، الذي في حال افتقاده يتحول الانسان عبداً للمتع[٤]، ان الحرية التي نادى بها فوكو وحرص على ترسيخها وتثبيت دعامتها والحفاظ عليها هي التي تمنح للمواطن في مجتمعه باختلافها وتنوعها ما بين شخص واخر وما بين علاقة هذا الشخص مع الاخر ومع نفسه [٥]، وهذه الحرية الفردية كانت محكمة بشروط خاصة لأجل تحققها ، مثل ابتعادها عن الرغبات والمتع وتقربها من الذات للذات فهو يرى "الحرية الفردية ينبغي ان لا تفهم على انها استقلال في حرية الاختيار . ان مواجهها ، والقطبية التي تعارضها ، ليست حتمية طبيعية ولا ارادة سلطة مطلقة ، انها عبودية – وعبودية الذات للذات . فان يكون الانسان حراً بالعلاقة مع المتع ، هو الا يكون في خدمتها ، هو الا يكون عبداً لها"[٦]، وتابعاً لسلطتها.

ثانياً: فلسفة الحرية في التيارات والمذاهب الادبية

١- فلسفة الحرية عند الرومانسيون

لم تنبثق فلسفة الحرية لدى الرومانسيين الا من عوامل ساهمت بصناعتها بشكل كبير، ويمكن استطلاعها من خلال عوامل نشوء الرومانسية، فهذه النشأة ارتبطت "بالثورة الاجتماعية والسياسية التي يلخصها المذهب الليبرالي او النزعة التحررية التي تضرب بجذورها الى عصر النهضة، ثم تجددت مبادئها بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩"[٧]، التي قدمت امتيازات كثيرة على مستوى السياسة والاجتماع على صيد الحرية والمساواة والحد من العبودية، والاهم من ذلك على صعيد الادب فحسب قول (فيكتور هوغو) ان "الرومانسية هي الليبرالية في الادب"[٨]، وذلك لانهم جعلوا من كل وسائل الادب اشياء حرة مستقلة، "فالفرد عندهم حر. والعاطفة حرة. والتعبير لأدبي حر. لهذا رأى الرومانسيون ان الادب تعبير ذاتي عن مشاعر الاديب وعواطفه"[٩]. ويرجع مصطلح الفلسفة الرومانسية للفلاسفة الالمان الذين عاصروا القرن الثامن عشر والتاسع عشر، امثال (فيخته، شلينغ، هيجل، شوبنهاور)، الذي تميزه مذهبهم بخصائص مهمة حددت اهم منطلقات الرومانسية التي من اهمها تعظيم شأن الهوى والحدس والحرية والتلقائية، وتحدي قواعد الجمال والمنطق بل احتقارها[١٠]، لذا يعد المذهب الرومانسي اول المنادين بضرورة التخلص من العادات والتقاليد القديمة التي عاصرت الادب قروناً طوال ولاسيما الادب الكلاسيكي المشهور بقوانينه الصارمة التي قيدت الفنان وحجبت من طاقته الابداعية ،كونه مجبراً وخاضعاً لجملة من الخطوات الاساسية لا يمكن تجاوزها، وبهذا " يمثل الاتجاه

(١) زكريا ابراهيم ، مصدر سابق ، ص ٧٧ .
(٢) مجموعة من علماء الروس ، مصدر سابق ، ص ١٩١ .
(٣) ينظر : زكريا ابراهيم ، مشكلة الحرية ،مصدر سابق ، ص ٧٥ .
(٤) ينظر :ميشال فوكو ، تاريخ الجنسانية ، ترجمة : محمد هشام ، ج٢،(الدار البيضاء: افريقيا الشرق ،٢٠٠٤)، ص ٧٧.
(٥) ينظر : مشيل فوكو ، مصدر سابق ، ص ٧٧.
(٦) مشيل فوكو ، المصدر نفسه ، ص ٧٨ .
(٧) .شلتاغ عبود المياح، مدخل الى النقد الادبي الحديث، (بغداد: دار السلام ، ٢٠١٢) ، ص ٧٩ .
(٨) فليب فان تيغيم، المذاهب الادبية الكبرى في فرنسا، ترجمة: فريد انطونيوس ، (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٦٨)، ص ٢٠١ .
(٩) فائق مصطفى و عبد الرضا علي، في النقد الادبي الحديث : منطلقات وتطبيقات، (الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩) ، ص ٦٧-٦٨.
(١٠)سناء خضر، مبادئ فلسفة الفن، (الاسكندرية: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ٢٠٠٣) ، ص ٣٧٤.

الرومانسي في الفن ثورة من اجل التخلص من التقاليد الاكاديمية، ومن مصادر الايحاء التي تعتمد على المحاكاة للنماذج الاغريقية الكلاسيكية، والتي كانت قد سيطرت على مفاهيم الفن، رغبة في اطلاق العنان لإرادة الفنان، والافلات من سلطة القواعد القبلية والعقلية المنطقية"[١] ومن اجل ضمان الحرية فقد طالب انصار المذهب بعدة مطالب، مثل العودة الى الطبيعة والمجتمع البدائي وايضا التخلص من سطوة العقل او تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي من خلال "استلهام العاطفة والخضوع لها وتغليبها على العقل: امن الرومانسيون بالعاطفة وخضعوا لسلطانها. وجحدوا سلطان العقل. لان العقل في نظرهم لا يحقق للإنسان الا الجفاف والجمود"[٢]، ولأجل تحقيق هذه المطالب تم اطلاق "عبارات مثل تحقيق الطابع الفردي والشخصية الذاتية، والكشف عن الجوهر الكامن وراء الموضوعات، والتأكيد على الرؤية اللامحدودة بالمظاهر العلمية للأشياء، وتحرير التعبير من قيد الاساليب التقليدية، وتقدير الاصالة والجدة"[٣]، وكل هذه العبارات يشترط تحققها الانعزال عن العقل لتحقيق عنصر الابداع في الانتاج الفني بحرية تامة، كما انهم "اعتبروا انفسهم المتحدثين الرسميين باسم الحرية، فكانوا بهذا أعلاناً اشد وضوحاً من شمس النهار عن الشيزوفرينا: اما العقل اما الحرية، اما العلم واما العالم"[٤].

٢– فلسفة الحرية عند الوجوديين

وصفت الحرية في المذهب الوجودي بمثابة العقل المدبر والعمود الفقري الذي ترتبط فيه جميع جزيئات الفلسفة الوجودية من حيث الشكل والمضمون، وهذه الحرية " قائمة بين ضرورتين: ضرورة القوانين الطبيعية التي تضع في مواجهتي مقاومة الواقع التي لا سبيل الى ردها الى شيء اخر؛– وضرورة القوانين الاخلاقية التي هي بالنسبة الى الشكل الثابت للقاعدة"[٥]، والصراع مع هذه القوانين هو من يحدد طبيعة الحرية، سواء كانت حرية خاضعة لسيطرة قوانين الطبيعة والمجتمع او حرية مطلقة منتصرة في نضالها ومقاومتها لقوانين الضرورة بشرط الالتزام، سواء كانت مقامة خارج الذات او داخل الذات والنفس، لان "من اهم شروط الحرية عند الوجوديين هي المقاومة والنضال لأجل تحقيقها، وفي خلاف ذلك تكون الحرية خاوية تماما تتصف بالعدم."[٦]، ومها انقسمت الآراء حول فلسفة المذهب الوجودي، الا انهم اتفقوا على نقاط مهمة جوهرية اشبه بمرتكزات اساسية للوجودية ساهمت في دراسة الحرية بشكل مفصل، و"اهم ما نادى به الوجوديين هو التركيز على عدة امور ومن اهمها الحرية"[٧]، وغيرها مثل التمرد والقلق والالتزام. اذ شكلت هذه المحاور الفلسفية علامات يستدل من خلالها عن الحرية المجتمعية وحرية الفرد التي كرس لها الاهتمام الاكبر من خلال العديد من الفلاسفة لتوضيح مفهوم هذه الحرية حسب الفهم الوجودي وعدم تشتتها وتبنيها مواقف اخرى غير التي تم الاتفاق عليها، اذا تم تحديدها بانها لا تعني ان يفعل المرء ما يحلو له اي انها ليست حرية مطلقة تولد الفوضى، بل هي الوعي الكامل وتصور الفرد بما يجب ان يسلكه او يقوم به بما يمليه عليه اي موقف من المواقف، مهما اختلفت الخصائص، ومهما كان الوجود مستقل في اختياراته يجب ان يكون في الوقت نفسه ملتزما بكل ما يحيط به ويجاوره من واقعه العام لان الحرية لا تتحقق الا من خلال الالتزام، وهذا الالتزام تدخل في معناه كل الحقائق المقترنة بالموقف، وبنفس الوقت تملي على الشخص سلوك خاص ازاء هذا الموقف[٨].اما في(المتمرد) فقد اعتقد كامي بان (التمرد) يفسح المجال للوجود الانساني ان يقوم بدوره بحرية تامة من خلال الاختيار واتخاذ المواقف الانية لأن التمرد يضمن الحرية للشخص بأوسع معانيها، وان كل الوجود البشري يستطيع ان يتحرر من خلال التمرد على التقاليد والاعراف السائدة[٩].

ومن الحالات الاخرى التي ارتبطت بمفهوم الحرية والانسان الحر في الفلسفة الوجودية هو(القلق)، وهذا ما تناولته الكثر من الدراسات لعدة فلاسفة ، فقد وصف هيدجر ان القلق هو دليل الانسان للحرية ومن خلال" القلق يكشف الانسان عن الحرية، فهو

(١) د.محسن محمد عطية ، غاية الفن : دراسة فلسفية ونقدية ،(القاهرة : دار المعارف ، ب ت) ، ص ١٤٨.
(٢) فائق مصطفى و عبد الرضا علي، مصدر سابق ، ص ٦٨.
(٣) محسن محمد عطية، مصدر سابق ، ص ١٥٦.
(٤) يمنى طريف الخولي ، مصدر سابق ، ص ١٦٨.
(٥) ريجيبس جوليفه، المذاهب الوجودية، ترجمة: فؤاد كامل، (بيروت: دار الآداب، ب ت) ، ص ٢١٧.
(٦) مجدي كامل، المصدر السابق نفسه ، ص ٣٩.
(٧) عبد الرزاق الاصفر، مصدر سابق، ص ١٨٤.
(٨) ينظر: دريني خشبة، المصدر السابق ، ص ٣٠١ .
(٩) ينظر: يوسف عبد المسيح ثروة، دراسات في المسرح المعاصر، ط٢،(بغداد: منشورات مكتبة النهضة، ١٩٨٥)،ص ٦-٢٩.

كيفية وجود الحرية باعتبارها شعوراً بالوجود"[١]، اما **(بول سارتر)** فقد وضع القلق مقابلاً للاختيار- والاختيار يساوي الحرية، والحرية بطبيعتها مسؤولية كبيرة على عاتق اي شخص يتمتع بها بصفته يقرر لنفسه وصاحب لقراراته، لهذا اصبحت الحرية كثيراً ما تجني الارق لأصحابها، مما تجعلهم يهرعون الى فكرة الجبرية، هروباً من المسؤولية ولعلهم يجدون فيها قوقعة امنه يلتجئون اليها حتى يتجنبوا من هول ذلك القلق الناتج من امكانية اتاحة للشخص امكانية الاختيار المرتبط بمفهوم القلق الذي لا يكاد ينفصل عن الشعور بالحرية[٢]، والانسان الحر هنا يجب ان يسعى جاهدا حتى ينفصل من الوجود ويتصف بروح المقاومة والعمل الدؤوب لكي " يصبح على هذا النحو (انا) في القلق- هذا الانسان لا يظفر بالحرية مرة واحدة الى الابد، بل على العكس من ذلك لابد له من ان يضع دون انقطاع ما يتسم به الوجود –الحر- اي ان يضع من جديد ماهيته الخاصة"[٣]، وهذا ما اكد عليه سارتر من خلال تعريف الانسان الحر: " هو الموجود لذاته- يحيا في عزلة ميتافيزيقية شاقة، ويشرع لنفسه وبنفسه، دون ان تكون امامه او خلفه معايير ثابته تحدد سلوكه، او دون ان تكون ثمة طبيعة بشرية محددة تفرض عليه بعض الاتجاهات الجبرية المحتومة"[٤] .ففي مسرحية (الذباب) يقدم سارتر مفهوماً خاصاً لتحرير الذات البشرية عندما حاولت (إلتكرا) تحرير ذاتها اولا ومن ثم تقديم العون لأختها، من خلال الوقوف بوجه الاله (حوبيز) وتمردها عليه وعم الاخضاع له والتحرر منه كونه كان الاله المسيطر في المدينة وتخضع له الارادة البشرية برمتها. حاول جان بول سارتر في مسرحية الذباب أن يميط اللثام عن الظلمة التفكير البشري، لأنه أراد أن يقول ان يقدم صورة موحدة عن فلسفة الحرية وفلسفة الارادة والجمع بينهما واعتبارهما شيء واحد.

٣- فلسفة الحرية عند العبثيين

كان لظهور ما يسمى بالمسرح الجديد او مسرح العبث و(اللامعقول) جذور ارتبطت بما سبقته من تيارات ومذاهب فلسفات، عرفت بطابعها الثوري التمردي على كل المظاهر القديمة والمتهالكة التي اثقلت كاهل الانسان واغرقته في متاهات العقل والعقلانية والمنطقية والواقعية وغيرها، ومن جانب اخر شكل الوضع السياسي المتمثل بالحروب والدمار واستحقار الانسان دافع مهم لأنشاء هذا المذهب الذي اهتم بشكل كبير بفلسفة الحرية. اذا ان تتجسد فلسفة الحرية عند العبثيين انطلاقاً من فكرة اللاعقل اذ سعوا الى التخلص من العقل والانطلاق بالخيال من خلال الغريب والعجيب والجديد المغاير، وهذا ما اوضحته التعاريف الادبية واللغوية والفلسفية المختلفة لمفهوم العبث الذي يبدو انه كل ما " يناقض العقل ومنه الخارق للعادة"[٥]، مما جعلها تتخذ صفة "ثورة على المعقولية المزيفة التي يفرضها المفهوم العلمي على الفن وهي ثورة لا على مضمون هذه المعقولية فحسب بل على شكلها ايضا"[٦]. اذ شكل المسرح للعبثية بوابة واسعة لتمرير اهدافها وافكارها في فلسفة الحرية من خلال الانتقال من المجتمعات المغلقة المقولبة والمحكوم عليه بسطوة العقل الى مجتمعات حرة مفتوحة يسودها الخيال الحر، وتحفل بالجديد والغريب العنصر الاكثر فعالية، لتأخذ هذه المساعي حجماً اوسع مما تتخذه مجرد تسمية ثورة وانما دعوة مستمرة وملحة للتجديد الذي يعد روح الحرية مما ساعد على تأسيس الفكر العبثي، وبحسب راي (غابرييل مارسيل) ان جل كتابها امثال (بيكيت، ويونسكو، وادموف) كانوا لا يعيشون في اوطانهم بل كانوا مهاجرين لانهم يرفضون كل مظاهر الارث و والموروثات الاجتماعية الانتماء، محاربين بذلك ما كان سائداً من القيود والعادات والتقاليد والانماط القديمة، وذهبوا الى رفض القواعد التقليدية التي كانت تحكم الاشكال الفنية، كما دعوا الى الحرية والتحرر من كل شيء [٧]. فعلى الرغم من كثرة الآراء الفكرية والفلسفية المختلفة لهؤلاء الكتاب، الا انهم اتفقوا على مبدأ اللامعقول في الفن، هذا ما ادى الى كثرة التسميات التي نسبت لهذا المسرح فقد ارتبط بأسماء متنوعة مثل مسرح الضد ومسرح الطليعة والمسرح التجريبي بالإضافة الى مسرح العبث واللامعقول، لأنه اتى بمرتكزات جديدة مغايرة كانت اساس المسرح في الخمسينيات[٨]، بمعنى ان جل هذه السمات والتسميات كانت لها صدى واسع في تدعيم

(١) مجدي كامل، صدر سابق ، ص ٩٤.
(٢) ينظر : زكريا ابراهيم، مشكلة الحرية، مصدر سابق ، ص ١٧٤.
(٣) يجيس جوليفيه ، مصدر سابق ، ص ١٣٧.
(٤) زكريا ابراهيم، مشكلة الانسان، (القاهرة: مكتبة مصر، ب ت)، ص ١٩١.
(٥) توفيق الطويل وسعيد زاير، المعجم الفلسفي، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية، ١٩٨٣)، ص ١٦٠.
(٦) رشاد رشدي ، مصدر سابق ، ص ١٩٢.
(٧) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢١.
(٨) ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٥ .

مفهوم فلسفة الحرية–بوصفها منظوراً جديداً للإنسان والفكر في مسرح العبث، وقد اوضح ذلك الدكتور محمد زكي العشماوي الذي قال " عندما نصل الى مسرح العبث جد انفسنا امام اكثر المسارح المعاصرة تحرراً من القواعد، وتجاوزاً للأصول الدرامية التقليدية، ويعبر مسرح العبث من هذه الناحية المذهب الوحيد حتى الان الذي تفرد بالسلوب في الكتابة المسرحية لم نعهده في اي وقت مضى"[١]. ومن الكتاب المهمين الذين عملوا على هذه القاعدة، الكاتب (**الفريد جاري**) الذي "اراد ان يقضي على قاعدة المعقولية او المشاكلة للواقع السائد في المسرح الكلاسيكي والتقليدي، وذلك باتجاهه نحو الغاء واقعية الزمان والمكان، حيث عمد الى الخلط بين الازمنة والامكنة، كما عمد ايضاً الى الغاء واقعية الانسان الذي استحال الى المنصة شبحاً مقنعاً"[٢]. فهو بذلك قد اسس لنفسه منهجاً خاصاً يعتمد فلسفتاً خاصة، لأنه لم يكن "يؤمن بالفلسفات المتوارثة التي نفسر عالم ما وراء الطبيعة، وكان يرى العالم كماً مجهولاً من الظواهر العارضة التي تفتقد لبى المنقط. لذلك ابتدع فلسفته الخاصة التي اسماها بالباتافيزيقية ساخرا بها من الفلسفات الميتافيزيقية(...) وقد وصفها بانها العالم الذي يشرح منطقة ما بعد الميتافيزيقية.. انها عالم الحلول المتصورة والمتخيلة"[٣]، اذ ان جاري بهذه الفلسفة قد منح لنفسه حرية مطلقة–حرية قائمة على الحلول المتخيلة الغير قابعة لأي قوى او نظريات سابقة، وطبق كل هذا في كتاباته للمسرح، فمن خلال مسرحيته (الملك اوبو) قدم جاري "صورة مركبة للنزعة الحيوانية في الانسان، وقسوته وحمقه، والثورة على المجتمع"[٤]، اذ عدت هذه المسرحية هي نقطة انطلاق المسرح العبثي– مسرح الطليعة القائم على فلسفة الحرية في الفن بصورة شبه مطلقة، لما نادت به من ثورة شاملة على الواقع، وهذا ما أكده الناقد (فان برونكو) حين وصف المسرحية بانها هي" اساس مسرح الطليعة، لأنها اول مسرحية حديثة تعكس تمرد الكاتب المزدوج: تمرد على المجتمع الذي يعيش فيه، وتمرده على اشكال الفن المسرحي الواقعية والطبيعية السائدة. التي كان يدعو اليها، المسرح الحر"[٥].

اما فلسفة الحرية لدى الكاتب العبثي (**صموئيل بيكت**) فقد اقتربت بشكل كبير من مفهوم الخيال وغياب الحقيقة الثابتة المطلقة، هذا ما اوضحه من خلال الاعمال المسرحية التي كتبها على هذا المنوال، مثل لعبة النهاية، والايام السعيدة، ولاسيما العمل الاكثر اهمية في هذا المجال، مسرحية (في انتظار كودو) فهو يقول "لا شيء اكثر حقيقة من اللاشئ"[٦]، بمعنى كل شيء متغير وغير معقول وبنفس الوقت متحرر، يتمتع بحرية مطلقة قائمة على مبدا الانسلاخ الفكري والاجتماعي للإنسان عن واقعة الحي وعن ابعاده التاريخية والاجتماعية التي غدت تغوص بالزيف وفقدان الثقة، وهذه المنطلقات الفكرية التي حددت فلسفة الحرية لديه كان اساسها ما يسمى (العدمية الميتافيزيقية) المهتمة بدراسة موضوع الانسان بحرية تامة تتجاوز الحواجز المادية للوجود البشري، وهي تعني بمضمونها وشكلها نكران كل القيم التاريخية والاجتماعية التي جاهد من اجلها الانسان سابقاً في تاريخه الحضاري والمدني، مستنداً على ما اعتقد به وعمل من اجله وهو كل شيء في الواقع غير حقيقي وغير ثابت وحراً[٧].

ما اسفر عنه الاطار النظري

١– الاختيار : ان الانسان الحر هو الذي يتمكن من الاختيار ما بين الاشياء بإرادة حرة تابعة لسلطة العقل ومتجنبة اي من البواعث او التوابع الخارجية والداخلية. حسب الفلسفة الارسطية .

٢– الشك : ويعبر عند (ديكارت) عن الحرية، لأن الإنسان في لحظة الشك يدرك انه يتمتع بحرية كبيرة يستطيع بواسطتها الامتناع عن الاعتقادات التي عرفها من قبل، وفي الشك يفعّل الإنسان ملكة التفكير، فالإنسان الحر يقاس بفكره وادراكه

٢– الثورة : إذ ترتبط الحرية الانسانية ـ بحسب الفلسفة الماركسية ـ بالثورة التي تسعى لتقدم الإنسان عبر سيطرته على الطبيعة من خلال

(١) محمد زكي العشماوي ، المسرح: اصوله واتجاهاته المعاصرة ، (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري ، ٢٠٠٩)، ص ٧٦.
(٢) حماده ابراهيم، مصدر سابق، ص ٦١.
(٣) عثمان الحمامص، عبثية الواقع وواقعية العبث، (القاهرة: العيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤) ، ص ٢٤.
(٤) حسن محسن، المؤثرات الغربية في المسرح المصري المعاصر، (القاهرة: دار النهضة العربية للتوزيع والنشر، ١٩٧٩)، ص ٤٣.
(٥) حماده ابراهيم ، مصدر سابق ، ص ٢٤.
(٦) ارنولد هنجلف، موسوعة المصطلح النقدي : اللامعقول، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩) ، ص ٧٧.
(٧) ينظر: يوسف عبد المسيح ثروة، مصدر سابق ، ص ١٠٤-١٠٥.

فهمها واستغلالها، وكذلك الثورة على القوانين الاجتماعية لتحطيم العبودية

الفصل الثالث: الاجراءات

تضمن هذا الفصل عرضاً ، لإجراءات البحث التي قام بها الباحث ، بغية تحقيق أهداف بحثه الحالي، الذي يحتوي على تحديد نماذج العينة المختارة ومناقشة نتائجها، اختار الباحث نمذج عينته – الواردة أعلاه

قصدياً للأسباب الآتية:-

١- أن في النماذج المختارة ما يتواشج مع هدف الدراسة.

٢- اشتمال النماذج على المعايير الواردة في ما أسفر عنه الإطار النظري.

٣- إن النماذج المختارة شملت فترات زمنية تتسم بالمتغيرات السريعة على مستوى الخارطة السياسية من ثورات وانقلابات ألقت بظلالها على المنتج الأدبي المسرحي في الوطن العربي، وبالتالي أضفت متغيراً على طبيعة تأسيس الخطاب في النصوص المسرحية العربية.

تحليل العينة

مسرحية (ماستابا..الرقصة الاخيرة) لـ (عطا شمس الدين) السودان ـ ٢٠١٠

تعد مسرحية (ماستابا.. الرقصة الاخيرة) للكاتب عطا شمس الدين، من المسرحيات التي تصدت لفلسفة الحرية عبر التركيز على مفهوم استغلال رجال الدين لمواقعهم لنهب وسلب واستعباد البشر والتصرف بإراداتهم من خلال اغراقهم بالعادات والتقاليد التي تُمركز الخرافات وتسعى لتعطيل العقول ، لما ينتج عنها من بقاء لهم على رأس الهرم الاجتماعي ، إذ تعدُّ هذه الممارسات من اخطر الظواهر التي تثقل كاهل الفقراء وتزيدهم عبودية وذلاً ومهانة، كونهم لا يتمتعون بأبسط حقوقهم في حرية الرأي ، أو التعبير عن ما يختلج في اعماقهم، وأي كلام مخالف لذلك يعدُّ تمرداً وعصياناً يحاسبون عليه بالموت، فأن شخصية الأب (شاليت) شخصية ظالمة ومستبدة وانانية تتغطى بالدين من اجل مصالحها الخاصة لجني الاموال، ولا تكتفي بهذا القدر بل تمتد اطماعها إلى استغلال الفتيات جنسياً بحجة الزواج المرهون بإرادة الاسلاف، وفكرة المسرحية رسالة موجهة لما يحدث في الكثير من البلدان ولاسيما الاسلامية منها القابعة تحت سطوة رجال اتخذوا من الدين انغاما لرقصاتهم الماجنة في الخفاء.

تحليل المسرحية: تصدت مسرحية ماتسابا.. الرقصة الأخيرة لفلسفة الحرية من عدة جوانب، اهمها ما تجلى عبر الشك – بالتقاليد الظالمة والتخاريف البالية، وايضا من خلال التمرد والثورة، على احكام رجال الدين المزيفة، وعالجت ايضا موضوع حرية الاختيار، وعدم الخنوع لرغبة الغير والتأكيد على الارادة الحرة التي تستحق التضحية، واخيراً ذهبت إلى تأكيد العقل الكوني، من خلال تقبل المصير بحرية مطلقة والابتسامة اثناء مواجهة الموت، كما حدث في المشهد الاخير رقص (ماتسابا) بعد أن قطعت وريدها مستقبلة الموت بالرقص .

الشك: اهتم شمس الدين بتصعيده للشك عند شخصياته ،وجعله أول محاوره لتمثلات فلسفة الحرية، ولاسيما أن المسرحية تعالج التخاريف القديمة والتقاليد المزيفة التي تنحصر بين شخص مؤيد لها بفطرته وبين شخص يتصدى لها بعقله، كما في الحوار الاتي:-

((**اباي: هيا يا (مامو) اعدي لنا الطعام.**

مامو: (بدهشة) وقوت الأموات.

كاتيانق: اوه مامو لا تلقي بالا لتخاريف الأب شاليت.

مامو: لا تقل هذا الكلام كاتيانق

كاتيانق: اقسم أن الأب شاليت سياكله وحده، ولا ينال الأموات شيئاً سوى ضحكته القميئة.

مامو: اوه كاتيانق (باستنكار)

كاتيانق: مامو أن ما نزرعه ناكله ونحن أحياء وعندما نموت لا نأكل سوى الدعوات الطيبات من أصدقائنا))[1]

(١) عطا شمس الدين، ماستابا.. الرقصة الاخيرة، من كتاب: نصوص مسرحية سودانية، مجموعة مؤلفين،ط١، (الشارقة: دار الثقافة والاعلام، ٢٠١٠)، ص ٩٩.

ويستمر كاتيانق في شكوكه محاولاً ايصال هذه الشكوك في قلب مامو من خلال ابراز بعض الحقائق وكشف الزيف والتخاريف المتباه من قبل الاب شاليت، كما يتضح بما هو آت:-

((مامو: سيغضب الأب شاليت إذا سمع منك هذا الكلام (بخوف)

كاتيانق: ماذا لو غضب؟ ما اقوله صحيح نحن نملأ كرشه طعاماً

جربي مامو جربي.

مامو: (تحاول الهروب) كاتيانق!!

كاتيانق: جربي مامو لنأكل طعام الاموات ونرى ما سيفعله الأب شاليت.))[1]

كان كاتيانق متمسكاً بشكوكه ولم يتراجع حتى بعد مواجهته مع الأب شاليت، لأن هذه الشكوك منحته الحرية الكافية للوقوف بوجه الاستبداد والتقاليد البالية وجعلت منه أكثر قوة وصلابة ورجولة على الرغم من صغر سنه.

التمرد: بما ان الشك دخل قلب كاتيانق وماسابا فلا بد من الخطوة الثانية وهي التمرد- التمرد على الأب شاليت وما يحمله من أفكار جامدة تخدم مصالحة غير المشروعة، وهذا ما جاء في الحوار الآتي:-

((كاتيانق: ان صراع الغابة ومعاندة الصحراء كفيل بان يعلمنا

ما هو اكثر ايها الاب.

شاليت: وهذا ما تعلمته ان تعصي اوامري وتتمرد على اعرافنا.

كاتيانق: انا اعلم من يعمل يأخذ بقدر عمله ايها الاب.

مامو: كاتيانق ارجوك بني لا تتماد اكثر (بخوف).

كاتيانق: انا اعرف مقدار قوتي وهذا يكفي))[2].

وفي حوار آخر تظهر ملامح التمرد باشدها عند كاتيانق ويشتد الصراع بينه وبين الاب شاريت، ليصل إلى مرحلة التهديد، بعدما أن عرف كل منهما نيّة الآخر في الانتقام والتحدي كما في الحوار الاتي:-

((شاليت: كاتيانق انما قلته كان غبيا وعنيفاً.

كاتيانق: ما سأقوله اشد عنفاً ايها الاب.

شاليت: إذاً سترى ما تخبئه لك الأيام من سوء

كاتيانق: كن شجاعاً وقل ما تخبئه لي انت من سوء))[3].

علاوة على ما تقدم يرد التمرد بصورة واضحة ليساند تحقق فلسفة الحرية من خلال حوار الأب شاليت مع مساعديه الذين ايقنوا خطورة الوضع وما يمكن من وصول الأزمة إلى حال لا يحمد عقباه ومن الممكن ان يفقدوا العز المتنعمين به بمساعدة جهل الاخرين وسذاجتهم.

((شاليت: ان ما اقترفه كاتيانق استحق غضبي.

لينو: أخطأ في حق نفسه.

شاليت: بل أخطأ في حق الاسلاف.

لينو: لكن هذا لا يمنع من تأديبه.

شاليت: ان من يعصي اوامري يعصي اوامر الاسلاف، وذلك يجلب اللعنة

(...) ان من اعظم الامور ان تتحدى مشيئتي وانت تعلم عاقبة ذلك))[4] ليتم بعد ذلك اعلان مساعدي الأب شاليت عن تمرد كل من كاتيانق وماستابا بصورة مباشرة ومن غير رموز كما في الحوار الاتي:-

((لينو: (بهلع) ان كاتيانق تمرد على الاعراف.

ماكوار: وماستابا تمردت على الاسلاف.

لينو: ياكارثة الارض حلي في اقصى بقاع الكون.

---

(1) المصدر نفسه ، ص ١٠٠.
(2) المصدر نفسه ، ص ١٠١.
(3) المصدر نفسه ، ص ١٠٢.
(4) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.

ماكور: يا غضب الارواح الكبرى نحن عبيدك وخدام قرابينك))[1]

الاختيار: لم تقتصر تمثلات فلسفة الحرية في هذه المسرحية على الشك والتمرد بل شملت مفهوم الاختيار، ذلك الايعاز التابع لسلطة العقل والارادة الحرة والمنعزل عن البواعث الخارجية، ففي مشهدٍ جمعَ بين الأب شاليت ومساعديه مع ماستابا، وبعد عرض الزواج عليها رفضت لأنها تتمتع بحرية في الاختيار:-

((ماستابا: انا لست زوجتك أيها الأب وهذه إرادتي ورائي.

لينو: ترفضين أوامر الاسلاف ومشيئتهم.

ماكوار: يا لسوء ما تقترفين وفداحته.

ماستابا: لينو.. ماكوار... إن مشيئة الاسلاف تقتضي بالعدل والخير لنا

شاليت: وهل زواجي بك اصبح فعلا شريراً وظالماً ماستابا؟

ماستابا: انا أعلم اين يكمن الخير لي.

في كاتيانق اذاً؟

ماستابا: نعم أيها الأب.))[2].

رفضت ماستابا الأب شاليت وعبرت عن حريتها في الاختيار لشريك حياتها على الرغم من علمها بخطورة الوضع وإمكانية الرد القاسي من الأب، ومن الممكن ايذائها او ايذاء حبيبها كاتيانق الذي ساندها وأكد بقوة عزمه في حرية الاختيار لها:-

((ماستابا: كاتيانق ماذا سنفعل الآن؟

كاتيانق: لن نرضخ الا لإرادتنا هذا كل ما اعرفه.

ماستابا: وهل سيتركنا الأب شاليت ونحن أول من تحداه؟

كاتيانق: بالتأكيد لن يتركنا.))[3]

(1) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
(2) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
(3) المصدر نفسه ، ص ١٠

وبالفعل لم يتركهما ويحاول بأبشع الصور أن يتخلص من ماستابا محاولاً رد كرامته كما يزعم، حتى لا يفقد مكانته بين الناس إلا أن مستابا كان لها رأي آخر في اختيار الموت:-

((ماستابا: انا اختار كيف اموت.

كاتيانق: ماستابا؟

ماستابا: لقد وعدتني الا تقبل ما يجب الاهانة لي كاتيانق.

كاتيانق: لكن يا ماستابا.

ماستابا: أيها الأب سأرقص حتى يصفي دمي، حتى تشرب الارض كل قطرة

حتى يعلن الايقاع أن الموت شيء عادي كالحب، كالميلاد، كالجنون))[4]

وبذلك تقدم (ماستابا) رسالة حيّة تعلن من خلالها تأكيد انسانيتها وتحقيقها عبر الإرادة الحرة التي تجعل الانسان مبلوراً لشكل حياته بصورتها الناصعة المتسقة مع كرامته وضميره الحي وصلابته بالمواقف الصعبة .

الفصل الرابع: النتائج والاستنتاجات

اولاً: النتائج

١- إن التمرد هو خطوة ثانية تتلو الشك، فهو من نتاج الشكوك التي تصاحب الانسان عندما يدرك انه داخل دوائر من الاستغلال والعبودية، تتطلب التمرد عليها وعلى انظمتها وان كانت انظمة متنفذة ذات سطوة ونفوذ، والتمرد يضمن الحرية من خلال ايصال فكرة لمن هم في هرم السلطة بتنوعها : أن الانسان اصبح اكثر جد وعزم للتغيير من اجل الحرية.

٢- ان الانسان الحر هو ذلك الذي يمتلك ارادة قوية وحقيقية للاختيار ما بين المواضيع المفروضة عليه في اصعب الظروف، من خلال عزلها عن الظروف الخارجية واخضاعها لسلطة الذات وحدها، فشخصية (ماستابا) هي اختارت الموت بحرية على الزواج المكره.

٣- يعد الشك اول الدعائم المساندة لبلوغ الحرية لما يفعله من خلخلة في الافكار والعقائد القديمة ، وتفعيل ملكة التفكير والتأمل في معرفة الحقائق المغيبة، وهو يفتح الطريق كذلك إلى التمرد ومن ثم إلى الثورة.

ثانياً: الاستنتاجات

١- ان فلسفة الحرية تمثل محوراً اصيلاً في تكريس طاقة النص الانفعالية والتعبيرية والفكرية لبلوغ اهداف تتصل بنقاط اللقاء الحي الذي يجمع بين هذه المفاصل المختلفة التي يريد النص المسرحي بلوغها في ايصال رسالته الانسانية.

٢- تمثل فلسفة الحرية منزعاً واضحاً لبلوغ الكتابة المسرحية شكلها المتجدد الذي يتأسس على قاعدة فلسفية تمثل مرتكزاً ناطقاً بروح العصر وظروفه وملابساته ومنطلقاته ودوافعه التي لا تنفصل عن مآزق الانسان وتبليغ رسالته في محاولة ايجاد واقع بديل لا يخلو من القيم والأسس الرصينة التي ترتسم خارطتها في النصوص المسرحية.

٣- انقسمت الآراء الفلسفية والمنطلقات الفكرية لفلسفة الحرية بصورة متناقضة ما بين فلسفة الحرية الخاصة بمفهوم الفن وفلسفة الحرية الخاصة بموضوع الانسان، اذ نادت في مجال الفن الى العبث واللاوعي والخيال والاحلام والجنون من اجل تحرير الفن من القيود، بينما اقتربت من العقل والفكر والتأمل بما يخص الجانب الانساني.